

هل يمكن التغلب على الشعوبية بإنشاء المكتبات؟

تم طرح العديد من الأفكار لشرح ظهور الشعوبية في الغرب: انعدام الأمن الاقتصادي ، رد الفعل العنيف ضد الهجرة، الأخبار المزيفة ، على سبيل المثال لا الحصر. هناك عنصر آخر في القائمة هو عدم وجود مساحات مشتركة تسمح للأفراد من مختلف توجهات الحياة بالتفاعل والاندماج.

إذا أصبحت المجتمعات منقسمة فربما يكون ذلك نتيجة لانعزال الناس عن بعضهم – أحيانا يكون انعزالا كاملا – يؤدي إلى تآكل الإحساس بالترابط.

هذه هي الرسالة المثيرة للاهتمام لكتاب صدر مؤخراً عن إيريك كليننبرغ، عالم الاجتماع في جامعة نيويورك ومؤلف كتاب “قصور من أجل الناس”: كيف يمكن للبنية التحتية الاجتماعية أن تساعد في محاربة عدم المساواة والاستقطاب وتراجع الحياة المدنية.”

يأتي العنوان من عبارة استخدمها أندرو كارنيجي، وهو بارون أمريكي – من الطبقة الأرستقراطية – في أوائل القرن العشرين، لوصف آلاف المكتبات العامة التي ساعد في بنائها بتبرعاته.

بالنسبة للسيد كليننبرغ، البنية التحتية الاجتماعية هي الأماكن العامة التي يتجمع فيها الناس وتتشكل فيها العلاقات.

وأوضح في كتابه الكيفية والفوائد الناتجة عن التجربة، من مرحلة النمو الاقتصادي وصولاً إلى تحسن الأداء الإداري، وفي ذات الوقت يرى أن وسائل التواصل الاجتماعي تعمل على التفريق بين الناس.

تصميم حرم الكلية والمجتمع

قد يكون لتصاميم الجامعات دوراً مهماً في العملية التعليمية وأولوية جديدة نسبياً على دوائر التعليم العام. ورغم شح الموارد إلا أنها تلعب دوراً كبيراً في بناء المجتمعات الحديثة. أماكن مثل الحرم الجامعي لها مساهمات فريدة في صناعة التميز المجتمعي.

يقول كليننبرغ “عندما يتم تصميمها بشكل جيد يجب تشجيع المجتمع على قيم الانتماء والتعلم، وفي الوقت نفسه تشجيع التنوع في الخطاب والرؤية “.



ويرى الكاتب إن الوقت الذي نقضيه في حرم الجامعات يشكل أفكارنا حول ما نريد متابعتة ومن نريد أن نصبح. كما يساهم في تكوين علاقاتنا الاجتماعية ويزيد من فرص العمل. كما يساعد في القضاء على الانقسامات العرقية والدينية، مما يؤدي إلى ظهور "الزيجات المختلطة".

وحق مع تزايد عدد الأشخاص المنتمين لطيف معين والذين عبروا عن قلقهم من أن الكليات أصبحت غير مرحبة بهم في النقاش حول الموضوعات المثيرة للجدل، يرى الكاتب أنه لا توجد مؤسسة أفضل لإعدادنا للحياة المدنية في المجتمعات الديمقراطية، وتزويدنا بالأدوات التي نحتاجها لفهم الفرق وتقييم الأدلة والمشاركة في حوار منطقي مع أشخاص لا يشاركوننا وجهات نظرنا أو قيمنا أكثر من الحرم الجامعي.

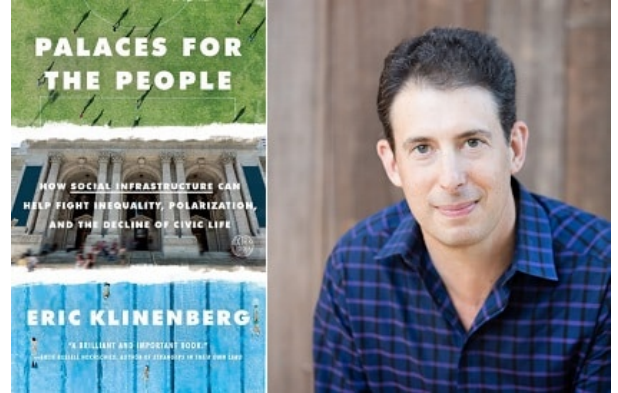
وأورد إريك كلينبرج في كتابه أنه منذ البداية، رفض مهندسو الجامعات الأمريكية النموذج الرهباني الذي أثر على المؤسسات الأوروبية وصممها لتكون أماكن اجتماعية عميقة. كان الدافع الرئيسي لمهندسي الحرم الجامعي في أمريكا أن يبنوا جامعات تنشر المعرفة من مختلف المجالات. والترويج للحياة الفكرية لم يكن أمراً مقصوداً على احتوائه أو ضبطه. كانوا يهدفون إلى المعرفة التبادلية، وكان الحرم الجامعي - الفصول الدراسية والمكتبات والسكن الطلابي وقاعات الطعام - أداة للتقارب.

وأضاف الكاتب أن مصممي الحرم الجامعي بالولايات المتحدة كانوا عازمين على بناء مجتمعات جديدة، وكانت لديهم أفكار جديدة لتعزيز العلاقات الاجتماعية. لم تكن جامعة هارفارد سوى واحدة من مؤسسات أمريكية عديدة صممت حياة الطلاب حول الكليات، ولكل منها مساحة خاصة بها لتناول الطعام والدراسة وتعزيز قيمة التأخي.

نادراً ما تبنى الجامعات الأمريكية هذا النوع من الجدران العالية التي تحمي الكليات في أكسفورد وكامبريدج من المجتمعات المحيطة بها، في المقابل نجد بعض المدارس وخاصة تلك الموجودة في المدن التي وضعت بعض المعايير الخاصة بالقبول وحددتها بأنظمة مادية وقواعد تفصيلية أدت إلى فصل مجتمع الجامعة - الطلاب وأعضاء هيئة التدريس - عن الناس و أماكن اعتبرتها "خطيرة".

واليوم تعزز عمليات أمن الحرم الجامعي الكبيرة هذه المفاهيم في الجامعات في جميع أنحاء البلاد وتجعل التمييز بين المجتمع الجامعي والمجتمع الخارجي حاداً بشكل خاص.

تقليديًا ، يفكر مسؤولو الكليات ومخططو المدن في تقسيمات “البلدة على أنها سيئة بشكل خاص للمقيمين ، وليس للطلاب ، لأنهم هم المستبعدين من مرافق الحرم الجامعي وكيفية التعامل مع الشبان الصاخبين الذين لم يتعلموا ليكونوا جيرانًا جيدين”. لكن الجامعات التي انفصلت عن المجتمعات المحيطة بها أضرت بالطلاب أيضًا ، مما منحهم إحساسًا خاطئًا بالتفوق وحرمانهم من فرص التعلم من المجتمع وتطوير المهارات المدنية التي يحتاجون إليها بشكل عاجل.



إريك كليننبرغ، عالم الاجتماع في جامعة نيويورك

وفي إجابة لسؤال في حوار أجرته معه الإيكونوميست عن مدى إمكانية ربط صعود الشعبوية وتقليص روح الديمقراطية بانخفاض في البنية التحتية الاجتماعية؟

أجاب السيد كليننبرغ أن المساحات المشتركة تتيح الفرصة للتعرف على القواسم المشتركة وقيم الاحترام المتبادل. والأنشطة المشتركة ، سواء في أماكن التجمعات العامة أو المقاهي أو القاعات تسهل أمر التضامن المجتمعي.

ويرى الكاتب “أنه في العقود الأخيرة ، قلصنا الأرضية المشتركة التي جعلت هذا التعاون ممكنًا. “لقد بنينا مجتمعًا أكثر تنافسية وتقسيمًا ، وهذه الظروف تغذي الأشكال الخطيرة من الشعبوية التي تزدهر اليوم.”

وسخر الكاتب من إدعاء مارك زوكربيرج أن فيسبوك سيكون بنية تحتية اجتماعية حيوية تنشط الديمقراطية. ويرى الكاتب أن وسائل التواصل الاجتماعي تقوم بالكثير لتعزيز الكراهية والدعاية والانقسام أكثر من تكوين “مجتمعات ذات معنى” التي وعد بها زوكربيرج.

وأشاد السيد كلينينبرغ بتجربة هولندا كرائد في دمج البنية التحتية الاجتماعية في استراتيجيات التكيف والتخفيف من حدة المناخ. “لقد تعلم الهولنديون بناء حدائق وساحات وملاعب، بحيث تحسن الاستثمارات في الأمن البيئي نوعية الحياة الاجتماعية اليومية أيضًا”.

وأشار أيضا إلى ما قامت به اليابان من بناء البنية التحتية الاجتماعية في نظام للنقل، حيث نجد في العاصمة طوكيو محطات تحت الأرض ومحمية من الفيضان نظيفة وصيانتها جيدة وتحتوي على جميع الأنشطة التجارية المتنوعة.

ويرى الكاتب أن المكتبات تلعب دورًا مهمًا بشكل خاص في الترويج للثقافة الديمقراطية - وتحدي الاستبداد - بسبب الطريقة التي تعمل وتدار وتُبرمج بها. فهي شاملة وتلتزم بالمعايير المهنية القوية : متابعة المعرفة بأفضل الأدوات المتاحة؛ عدم الحكم ؛ احترام كرامة جميع الأشخاص؛ الحفاظ على الخصوصية. معاملة الجميع، بغض النظر عن الطبقة الاجتماعية أو العرق أو العمر أو القدرة أو حالة المواطنة على قدم المساواة.

ويعتقد السيد كلينينبرغ أنه في كل مرة تغلق فيها المكتبة أبوابها ، يصبح مجتمعنا أقل انفتاحًا، وتكون ديمقراطيتنا أكثر ضعفًا. ” إذا لم نقوم بإعادة الاستثمار في المكتبات ، وفي البنية التحتية الاجتماعية على نطاق أوسع ، فما الذي سيبقىنا في عصر الظلام الذي يخشاه كثير من الناس؟” لذا فقد بدأت بعض المجتمعات بالإستثمار في مكتبات جديدة وحديثة ومصممة لتلبية احتياجات القرن الحادي والعشرين وتوفر مساحة للتقنيات المحلية ومساحات مفتوحة هائلة للأطفال والكبار.

ويرى الكاتب أن السكان بشكل جماعي قد فهموا أن الاستثمار العام في البنية التحتية الاجتماعية سيجلب جميع أنواع الفوائد.